أحكام التدبير

وَاِقْبَل الصَّبَاحَ طَارِدا مِنْ قُلُوبِهِمْ الأَوْهَامِ

اِسْتَيْقَظُوا وَأَكَلُوا مَا تَيَسَّر مِنْ الطَّعَامِ

وَبَدَأُوا فِي تَنْفِيذِ المَهَام

وَخَرَّجَت أُمُّ الغِلْمَانِ

وَطَلَبْت أَنْ يُوَصِّلَهَا، حَسَّان

وَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْ دَارِهِ فِي طَيِّ الكِتْمَانِ

وَذَهَبُوا إِلَى أَرْضِ القَوَافِلِ

وَقَدْ كَانَ مِيْدَانا بِكُلِّ أَنْوَاعِ البَشَرِ حَافِل

فَاِتَّجَهْت لِرَبِّ المَكَان

ألقت التحية والسلام
قائلة : لِي رَجاءً أُرِيدُ السَّفَرَ إِلَى أَرْضِ النُّعْمَانِ

التفت قائلا : لَقَدْ تَأَخَّرْتِ كَثِيرًا

وأعلمي أن القَوَافِل عِنْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ تَسِير

قالت :أعْذِرنِي فَعِنْدَي ظُرُوف جعلت حضورى باكرا عسير
سألها مستفهما .هل أعددتم عدتكم للرحيل؟
قالت : فَقَطْ أَحْتَاجُ إِلَى اثنين من البعيرْ

إذا أقبل منتصف الليل تحضرون بلا تاخير

قالت : لا سَنُسَبِّقُكِ وَأَهْلِي إِلَى وَادِي النَّخِيلِ

متعجبا قال: هَذَا طَرِيقٌ لِوَحْدكُمْ طَوِيلٌ

أعلم وَلَا أُرِيدَ أَنْ يَعْرِفَ أَحَدَ بِأَمْرِ خُرُوجِنَا

وَهذا مال البعير
لَكِنَّ هَذَا مَبْلَغٌ كَبِير

لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَعَلَيَّ أماناتكم بِكَثِيرٍ

قال : لك هذا وسَأَتْرُكُ النُّوقَ مَعَ قَافِلَةِ أَرْضِ النُّعْمَانِ

وبِاسْمِ من ؟ قالت زوجة حاتم وكنيتى أُمِّ الغِلْمَانِ

وَهِيَ تَعْرِفُ أَنَّهُمْ بَعْدَ التَّحَرِّي سَيَصِلُونَ

فَكُنْيَتُهَا أَمْ الغِلْمَان وَهَكَذَا يَعْرِفُونَ

وَكأنها عَلَى بِسَاطِ الرِّيحِ عَادَتْ لِلدَّارِ

وَقد رَجَتْ حَسَّانَ أَنْ يَحْفَظَ الإِسْرَار

وَأَخْبَرْتُهُ أَنْ زَوَّجَهَا قَدْ عَادَ

وَأَنَّ المَغْرِبَ بَيْنَهِمْ مِيعَاد

وَصَلْت وَقَدْ أُعِدُّ أَوْلَادَهَا الأَحْمَال

وَقسمَّتْهُمْ إِلَى قِسْمَيْنِ وكل بمقدار

مَا يَأْخُذُوهُ فِي التَّرْحَالِ

وَمَا يَتْرُكُوهُ فِي الدَّارِ

أَعَدَّتْ بَعْض الطَّعَامِ وَأَعْطَتْهُ لِحَاتِمَ وَكَلَّمَتْهُ
وكل من مروا به أخبرته

فَكَانَ بِالصَّمْتِ مُجِيب

عَاتَبْتُهُ فَنَظَرَ لَهَا كَأَنَّهُ عَنْهَا غَرِيب

وَجَلَسَ الصِّبْيَان مَعَهُ يَأْكُلُونَ

يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا وَيَتَعَجَّبُونَ

وَالدُّمُوعُ بِعُيُونِهِمْ عَالِقَةٌ وَلَا يَبْكُونَ

التفتت إلى الأولاد قائلة .أِتسْمَعُون

بَعْدَ أَنْ يَأْتِيَ الضُّيُوفُ وَعَلَى وَالِدِكَ التَّحِيَّةِ يُلْقُونَ

نَقُولُ أَنَّهُ يَحْتَاجُ لِلنَّوْمِ فَهُوَ مُرْهِقٌ مَحْزُونٌ

وَسَأَتْرُكُ لَهُ فِي غُرْفَتِهِ مَلَابِسِ الرَّحِيلِ

فَيَرْتَدِيهَا وَتَسْتُرُهُ كَآنِهِ كهل كَبِير

وَتَذْهَبُ إِلَى مَكَانِ القَوَافِلِ بِلَا تَأْخِيرٍ

وَتَسْأَل عَنْ رَاحِلَةِ الشَّيْخَ مَسْعُود
وتجلسه فى الهودج بحجة أنهٌ عليل

سألها أمير هَلْ أَتْرُكُهُ وَأَعُودُ؟

أياك نَحْنُ مَنْ سَيَأْتِي إِلَيْكَ فَلَا نُرِيدُ عَلَى عَوْدَتِكَ شُهُودٍ

وَمَاذَا يَا أمِي إِنْ أَطَالُوا الضيوف المٌكوث

قالت سَيَذْهَبُ أَخُوكَ إِلَى الدَّاخِلِ وَيَعُود

وَيَقُولُ إِنْ أَبِينا أصَابَةَ كَابُوسٍ

سَأَسْتأذِنُهُ الرَّحِيلُ وهكذا سيكونون على حالته شهود

وَرَاح الوَقْت يُمِر كسيح الخُطُوَاتِ

كَأنمَا الشَّمْسُ عَلِقَتْ فِي السَّمَاءِ

أَوَانُهُ يَأْبَى أَنْ يَزُورَنَا المَسَاءُ

آه يَا قَلْبَي كَأنِي أَصْبَحَتْ عَجُوزًا شَمْطَاءَ

أَوْ أَرْضًا جَافَّةً بِلَا زَرْعٍ أو ماء

قبل رأسها سمير قائلا : اِبْتَسِمِي أمِي وإياك وَالبُكَاء

فَلِنَبْتَهِلْ أن يَمُرُّ الوَقْتُ وَيَنْتَهِي زَمَنٌ الشَّقَاءُ

جَلْسَت تَنْتَظِرُ الضُّيُوفَ

وَقَدْ أَصْبِح عَقْلُهَا بِكُلِّ المَخَاوِفِ مَحْفُوف

وَأُتِيَ الضُّيُوفُ تِبَاعًا عُنُدٌ المُغَيَّب

حَيَّوْه فَنَظَرَ لِهُمْ كَأنِهِ غَرِيب

اِسْتَدَارَ لِهُمْ وَجَلَسَ يَنْظُرُ لبعيد

وَكَأنَ قد وَقَّعَ هَذَا عَلَيْهُمْ شَدِيد

أَهَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ إِذَا زُرْنَاهُ يَكُون يَوْمَ عِيدٍ؟

أَجابهَمَّ أمير معتذرا أَنَّهُ مَرِيضٌ؟
إسمحوا لى أن آخذه ليستريح

وَنَفَّذَ أمير مَا قَالَتْ وتحرك كأنه ريح

وَخَرَجَ مِنْ خَلْفِ الدَّارِ

وَرَاحَ يسيرً فِي الخَفَاءِ

حَتَّى يَتَحَاشَى أَيُّ لِقَاءٍ أَوْ حِوَار

وَرَاح يَدْعُوَ أنِ تُلْحِقُ بِهِ الأُمَّ فَمَوْعِدُ السَّفَرِ قَرِيب

وَقَدْ مَلَّ مِنْ تِلْكَ البِلَادِ فَقَدْ أَصْبَحَ فِيهَا غَرِيبا

وَبعد وقت قليل تَحَرَّجَ الجِيرَانُ

وَاِسْتَأْذَنُوا فِي الرَّحِيلِ

قَالَتْ أَتُرَحِّلُونَ الآنَ

أجابوها حيَّنَ يَشُفى حَاتِم سَيَكُونُ المَوْعِد وَالأَوَان

وَأَشَارَ لِهُمْ فِي السِرِّ حَسَّان

إِنْ فِي رِعَايَةِ اللهِ وَالأَمَانِ

وَقَامَتْ عَلَى عِجْلٍ وَزَادَتْ مِنْ الشُّمُوعِ

وَارْتَدَتْ مَلَابِسَهَا وَالغِلْمَان

وَقَدْ طَفْرَتَ مِنْ عَيْنَيْهَا الدُّمُوعِ

يَا بِيت عَشَّتْ فِيكَ سِنِينَ

سَيُرْهِقُنِي شُوفِي إِلَيْكَ وَيُضْنِينِي الحَنِين

فَقَدْ كُنْتَ لِي العِزُّ وَالأَمَان

وَلَكِنَّ لَيْسَ بِالبُيُوتِ نُحَيَّا

وَلَكِنَّ بِمَنْ فِيهَا مَنْ سُكَّان

أَغْلَقْت البَابَ الكَبِيرَ وَأَحْكَمْت الإِغْلَاقَ
وَقالت هلموا سَنَخْرُجُ مِنْ البَابِ الصَّغِير

وَأَنْتَ يَاسمير سَتُحَكِّمُ إِغْلَاقُهِ مِنْ الدَاخِلِ

ثُمَّ تَتَسَلَّق وَتَخْرُجُ مِنْ تِلْكَ الطاقة

وَأَتَلَقَّاكِ وَأُسَاعِدُكِ عَلَى الهُبُوطِ

حَسَنًا أُمِّيٌّ سَأُنْفِذُ مَا تَقُولِينَ فَلَا دَاعَى للقنوط

أَطْلَقَتْ البَخُورَ وَزَادَتْ مِنْ النُّورِ

وهبط سمير وقد اطمئنوا لحسن التدبير
وَكَانَ الرَّحِيلُ وَرَاحُوا يَجِدُونَ فِي المَسِيرِ

وَيَسْأَلُونَ اللهَ الخَفَاءَ وَالتَّيْسِيرَ

ووصِلُوا بَعْدَ عَنَاءٍ

وَقَدْ خِيَمَ الظَّلَامِ عَلَى بُحُورِ الصَّحْرَاءِ

وَاِسْتَقْبَلَهُمْ الاِبْن وَأَشَارَ إِلَى النُّوقِ وَالخَيْلَ المُسَرَّجَةِ

فَدَخَلْت إِلَى هودجها بَعْدَ أَنْ اِطْمَأَنَّتْ عَلَى زَوْجِهَا

وَجَلَسَ مَعَهَا الصَغِيرِ كَأنِهِ بْنتهَا

وَفَجْأَةً اِنْطَلَقَ النفير. وقال الحادى هَيَّا فَلِتَسْتَعِد العَيْرَ

قَدْ آنَ أَوَانِ الرَّحِيلِ

وَتحَرِّك الكُلُّ بِلَا تَأْخِيرٍ

وَتفْرِقُت القوافل إلى جهات الأرض الأربع
وذلك قَبْلَ وَاحَةِ النَّخِيلِ بِعِشْرِينَ مِيلٍ
وكانت تعرف أنهم عنهم سيبحثون
فهم فى وادى النخيل ينتظرون

وَكَانَ هَذَا عِنْدَ الشُّرُوقِ

وَرَاحِتْ قَافِلَتُهُمْ تَجِدُ فِي المَسِيرِ

وَطَوَيْت لِهُمْ الأرض سُبْحَانَهُ مِنْ بِيَدِهِ التَّيْسِيرِ

وَسَأُلْهَا ذَات يَوْمَ الصَّغِيرِ

كَيْفَ هُوَ وَادِي الأحلام ؟

قالت: كما سمعت هِيَ أَرْض فِي بَطْنِ الجَبَلِ

يَسْكُنُهَا خُلْقُ قَلِيلٍ

وَسَمِعْت قَائِدَ القَافِلَةِ يَقُول

لِنَّا عَشْرَةَ أَيَّامٍ وَلَكِنَّنَا سِرنَا كَأَنَهَا عِشْرُونَ.

فَسُبْحَانَهُ مِنْ سَيْرِ السَّحَابِ وَلَهُ فِي خَلْقِهِ شُؤُونٍ

وَجَلَسْت وَأُوَلِّادهَا فِي المَسَاءِ حَوْلَ حَاتِمَ يَتَسَامَرُونَ

وَقَدْ شَدَّتْ الخِيَامَ وَمَدَّ الطَّعَامَ

رِفْعَتُ عَيْنُهَا فَوَجَدَتْ زَوْجَهَا يَنْظُرُ لَهَا

وَكَانَ بَيْنَ نَظْرَاتِهِمْ صِدَامٍ لَا أَنَّهُ اِلْتِحَام

وَرُبَّمَا أَلْفُ عَلَامَةِ اِسْتِفْهَامٍ

زَوْجِي ، أُرْجُوَ أنِّ تَرَاجُعَ التَّفْكِيرِ

فَحِينَ نَصْل سَيَكُونُ بَيْنَنَّا الكَثِيرَ

مِنْ حِوَارٍ وَكَلَامٍ وَاِسْتِفْسَار وَتَفْسِيرٍ

فَتَرَكَ الطَّعَامَ وَدَخَلَ لِلخِيَامِ

فَتَنهدت هَيَا يَا أَوْلَاد فَأَمَامَنَّا بِضْعُ سَاعَاتِ لننام

لِنَسْتَيْقِظْ عِنْدَ الفَجْر لكُمْ أَجْمَل أَحْلَامٍ

وَهَكَذَا حَلَّ عَلَيْهُمْ مِنْ جَدِيدٍ السَّلَام

،،،،،

والتفت الشيخ زهران يقول اكتفيتم الآنَ
وَبَعْدَ أَنْ اِنْتَهَتْ قِصَّةٌ أَمْ الغِلْمَان

أَرْجُو أَنْ تَكُونَ قَدْ اقْتَنَعْتَم

أَنْه لَاشَى دَائم إلَا وَجْهَ الرَّحْمَنِ.

قَالُوا يَا شَيْخِنَا مابين أرض وسماء يكون العجب العجاب
خلق البشر تتناحر تتجاذب الغنائم كأننا نسكن غاب
أليس كذلك ياشيخنا
ياشيخنا ... ياشيخنا ... أجبنا ياشيخنا